

الشيخ ونصيحته

(قصيدة نثر)

كان الشيخ جالسا فى المسجد

مستندا على أحد أعمدته الرخامية

وبيده مسبحة طويلة حباتها من خشب الصندل

أما لحيته الممشوطة جيدا فكانت فى بياض الثلج

وحول وجهه استدارت هالة من ضوء القمر

اقتربتُ منه بهدوء

وسلمتُ عليه مقبلا يده اليمنى

ربتَ على كتفى بيده اليسرى

وأشار إلى أن أجلس في مواجهته

كانت فرصة نادرة ..

أن أجده وحده بدون مريديه الذين يحيطون به

وكذلك بدون أصحاب الحاجات ،

الذين يزدحمون دائما حوله

نظر إلى بعيون مستديرة ولامعة

نظرة كلها عطف وشفقة

وأشار إلى أن أجلس في مواجهته

كان يعنى ذلك أنه يسمح لى بالكلام

أسرعت قائلا :

- أنا مرهق جدا يا مولانا !

انتظر حتى اشرح

قلت :

- لقد تتابعته على المصائب ، و انسدت كل الطرق

ولم أعد أطيع رؤية الناس

تصور يا مولانا أنني كثيراً ما أتسلل

إلى احد الكهوف بجبل المقطم

وأجلس فيه الساعات الطوال ..

وأقسم إنني أشعر هناك ببعض الراحة

لكنني حين أنزل إلى المدينة ، وأستقر في بيتي

يعود كل شيء إلى ما كان عليه !

* *

أنصت الشيخ إلى كل ما قلته بألفاظي المتعثره

لاحظتُ أنه لم يفاجأ

لكنه ظل صامتا لفترة طويلة°

ثم أمسك بيدي ، وقال :

- مشكلتك يا بني ليست صعبة°

أسرعت مقاطعا :

- كيف يامولانا ، وقد كدت أقدم على الانتحار !

انتفض غاضبا ، وقال :

- حاشا لله .. لا تلفظ هذه الكلمة أبدا

واستعذ بالله منها ..

أطرقت في الارض مستغفرا

وبعد أن عاد إلى هدوئه ، قال :

- أنصت إلى جيدا يا بني

إن ما يمر بك هو مجرد ابتلاء

هل تعرف معنى المابتلاء ؟

إنه الامتحان الإلهي الذي يفرض بعض البشر من بعض

ومنه يعلم مستوى انسا نيتهم ومقدار تحملهم

ثم يكافئهم على ذلك :

إن لم يكن في هذه الدنيا المضا نيه ،

ففي الآخرة ..

* *

وجدتني وهو يذكر كلمة (الآخرة)

أُشرف على قضاء شاسع

تتحرك فيه كائنات لم أشهد مثلها من قبل

وظل الشيخ يتحدث ، وأنا سارج فى ملكوت آخر

ورحت أري فى العمود المرحامى الذى يستند عليه

طيوراً خضراء ، وزرقاء ، وصفراء ..

تتماوج صعودا وهبوطا فى الهواء

حتى أن بعضها كان يحط على كتفى !

وتعجبت كثيرا من اطمئنانها إلى ، وأنسها بى

وتمنيّت أن أظل معها طوال الوقت ..

ترك الشيخ يدي ، فانتبهت

سمعته يقول لى :

- اتفقنا يا بنى

افعل ما أوصيتك به

وقم على بركة الله ..

- لماذا أمرنى ؟

لما أعرف

وماذا كان حديثه الطويل لى ؟

لما أذكر

نهضت وأنا أحس بأن شيئاً قد مسَّ روحى

ورجت ألمس بيدي كل شئ أمر به

وأنظر فى وجوه الناس ، فأراها تبتسم

وحاولت جاهدا أن أفكر فى المصائب التى وقعت لى

فلم أعد أجدها ثقيلة وضائقة كما كانت !

* *

بعد ثلاثة ايام

توجهت إلى المسجد لكي أشكر الشيخ

لم يكن هناك مسجد ، ولما شيخ ..
